عشرة ذى الحجة فضلها والسنن الواجبة

لفضيلة الشيخ: محمد بن عبدالرحمن العريفي

هذا تفريغ وتلخيص للمحاضرة القيمة التي ألقاها فضيلة الشيخ محمد العريفي. استمع للمحاضرة على موقع طريق الإسلام

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهديه الله فلا مضل، ومن يضلل فلا هادي له، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جل عن الشبيه والمثيل والند والنظير، واشهد أن مجمد عبده ورسوله، وصفيه وخليله وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه، أرسله ربه رحمة للعالمين وحُجّة على العباد أجمعين، فهدى الله تعالى به من الضلالة وبصر به من الجهالة، وكثر به بعد القلة وأغنى به بعد الفقر، وصلوات الله وسلامه عليه، وعلى أهله الطيبين وأصحابه الغر الميامين، ما اتصلت عين بنظر، ووعت أذن بخبر، وسلم تسليما كثيراً.

ثم أما بعد آيها الأخوة الكرام ..

خلق الله جل وعلاه المخلوقات، وفاضل الله تعالى بينها في الفضل والكرامة، فجعل الله تعالى بعض الشهور أكرم من بعض، وجعل بعض الليالي أكرم من بعض، وجعل بعض المياة والأزمان والأماكن أكرم وأكمل من الأخرى، ولقد خص الله تعالى أياماً من هذه السنة عن غيرها، جعلها الله تعالى من أفضل الأيام، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم فضلها وحث عليها، وكان عليه الضلاة والسلام يبتهل العمل الصالح فيها وينهال عليها وكذلك كان الصحابة الكرام.

روى البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلي الله تعالى من عشر ذي الحجة، فقال الصحابة: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله».

فهذه العشر آيها المسلمون لها فضيلتها، ولقد ذكر الله تعالى فضلها في القرآن، فقال الله جل في علاه: {وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ} [الفجر: ١&٢]، وقال ابن كثير رحمه الله: "الأيام العشر هي أيام عشر ذي الحجة ولا يقسم الله إلا بشيء عظيم"، وهي العشر التي ذكرها الله تعالى لما ذكر قصة نبيه موسى عليه السلام فقال سبحانه: {وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ} [الأعراف:١٤٢]؛ ذكر بعض المفسرين أن موسى عليه السلام لما ذهب لأخذ التوراة من ربه وتوجه إلى الطور ليكلمه ربه جل علاه قال الله تعالى وقد أمره أن يصوم الثلاثين يوماً فصام شهر ذي القعدة كاملة، وواعدنا موسى ثلاثين ليلة أن يصوم ثلاثين ليلة، فلما أتم ثلاثين ليلة وأصبح في اليوم الذي بعده أراد أن يكلم الله تعالى فأراد أن يطيب فمه فكأنه اتساك بلحاء شجر أو أكل شيء؛ فقال الله تعالى له: "أما علمت أن خلوف فم الصائم أحب إليّ من كذا وكذا، صمّ عشرة أيام".

وواعدنا موسى ثلاثين ليلة يعني شهر ذي القعدة، وأتممناها بعشر يعني العشر من ذي الحجة، فتم ميقات ربه أربعين ليلة، هذه الأيام العشر هى أفضل أيام السنة فالذكر فيها أفضل من الذكر في طوال الأيام، الصوم فيها

أفضل من الصوم من غيره إلا ما كان من رمضان، قراءة االقرآن فيها أفضل من قراءته فى الأيام الأخرى، الصدقة فيها أفضل من غيرها، بر الوالدين والإحسان إلى الناس، صلة الأرحام، الحج، االعمرة، كل عمل صالح في هذه العشر يكون أفضل من العمل الصالح في غيرها، حتى روي عن عمر رضي الله عنه بسند فيه مقال أنه كان يقول: «العبادة في هذه العشر تعدل عبادة في سنة كاملة».

قال الإمام بن حجر رحمه الله لما تكلم على شرح الحديث الذى تقدم قال وربما كانت أفضليه هذه الأيام العشر لاجتماع أصول العبادات فيها، فأركان الإسلام خمسة شهادة أن لا إله إلا الله وأنت تحققها في هذه العشر، وإقام الصلاة وأنت تقي م الصلاة في هذه العشر، وإيتاء الزكاة وأنت تستطيع إيتاء الزكاة في هذه العشر، والصوم عموماً صوم رمضان والصوم في غيره كنافلة، والحج إلي بيت الله الحرام وهو لا يكون إلا في هذه العشر، فلو أراد إنسان أن يجعل يوم فاضل له من أيام السنة فيحج فيه، فلن يجوز حجه، ولكن الحج في هذه العشر شرع فجمع الله أمهات العبادات فيها.

ولقد وقف الرسول صلى الله عليه وسلم في يوم النحر وهو اليوم الأخير من هذه العشر فقال: "أي بلد هذا؟ أي شهر هذا؟ أي يوم هذا؟ ثم قال: إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا" يعني يوم النحر تعظيما له وهو من العشر ذي الحجة ألا قد بلغت اللهم فاشهد.

فهذه العشر لها فضيلتها آيها المسلمون، ومن فضيلة هذه العشر ان الله جعل لها أداب وأحكام، فمن أحكام هذه العشر قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أم سلمة: «إذا دخلت العشر وأراد أحدكم أن يضحي فلا يأخذن من شعره وأظفاره شيئا»، وفي المسند قال: "وبشرِه" يعني لا يجوز أن يقطع من جلده أيضاً، والمعنى أن المرء إذا كان عليه أضحية لنفسه وأولاده أو كان سوف يضحي عن ميت فإن منذ أن تدخل الأيام العشر فعليك أن تمسك من الأخذ من شعرك كل شعر جسمك من شعرك ومن أظفارك، حتى إذا ذبحت أضحيتك جاز لك حينها أن تأخذ من شعرك وأظفارك.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن الله تعالي أكرم غير المحرم بتشبيهه بالمحرم، فالمحرم إذا احرم للحج والعمرة أمسك عن شعره وأظفاره، حتى يرمي جمرة العقبة ويذبح هديه، أما غير المحرم فقد كرمه الله تعالى بتشبيهه بهذا الحا ج، وهذا الإمساك عن الشعر والأظفار واجب، يعني لا يجوز أن بأخذ من شعره وأظفاره، ليس مستحباً بل واجب.

وبعض الناس يسأل إذا كان المرء سيضحي وعنده أولاد وبنات وزوجة كبار، فهل يجب أن يمسك كل منهم عن شعرهم وأظفارهم أيضاَ، فنقول إن الإمساك عن الشعر والأظفار خاص مباشرة بالمسئول عن الأضحية ولي أمر البيت هو القائم عليه الحكم.

وإذا كانت المرأة سوف تضحي عن الميت، وستدفع عنه المال، أو كان الميت قد ترك المال من وصية ووقف وصارت هي المسئول عن شراء الأضحية والإشراف على ذبحها وتوزيعها، هي الموكلة من هذا الميت؛ فإنه يلزمها أيضا ان لا تأخذ من شعرها وأظفارها، وذلك إذا كانت المرأة ستضحي عن نفسها مثلاً هذا جائز، فلا تأخذن من شعرها وأظفارها، أما بقية البيت فلا يتعلق بهم الحكم، هذا آيها المسلمون فيما يتعلق بالأخذ من الشعر والأظفار.

ومن أداب وسنن هذه العشر أيضا، ما ذكره النبي صلي الله عليه وسلم من الأمر فيها بالإكثار من التكبير والتسبيح والتحميد، ويسن في هذه العشر الإكثار من التكبير، والتكبير نوعان: نوع مطلق يعني غير مقيد بوقت وهو أن يقول: "الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد" قال الشافعي وإن زاد فقال: "الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا، اللهم صلي على محمد وعلى أل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى أل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى أل إبراهيم"، والتكبير المطلق يكون منذ دخول العشر، كبر في الضحى، كبر بعد العصر أو العشاء، كبر وأنت في سيارتك أو في سوقك، كبر وأنت في بيتك وانت ماض إلي المسجد أو راجع منه، مطلق على كل أحوالك فاشتغل بالتكبير، والتكبير المقيد سنة أن يكون التكبير بعد الصلوات إذا صليت الفجر من يوم عرفة تقول مع ذكر أذكار الصلاة "الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد"؛ فإذا صليت الظهر تقول مثل ذلك، إذا صليت العصر تقول مثل ذلك، وهذا آيها المسلمون التكبير المقيد ويستمر إلي آخر أيام التشريق، فإذا صليت العصر من آخر أيام التشريق (الثالث عشر من ذي الحجة) فهو أخر الوقت لهذا التكبير، والنبي عليه الصلاة والسلام خص التكبير بمزيد مزية فقال: "أكثروا فيهن من التكبير والتحميد والتهليل".

نسأل الله تعالى أن يعيننا على اغتنام مواسم الخيرات وأن يتقبل الله تعالى منا، قولوا ما تسمعون واستغفروا الله العلي العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه إن هو الغفور الرحيم.

الحمد لله على إحسانه، وشكري له على توفيقه وإمتنانه، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، واشهد أن محمد عبده ورسوله الداعي إلي رضوانه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أهله وإخوانه وخلانه ومن سار على نهجه واقتفى أثره وسن سنته إلى يوم الدين.

أما بعد آيها الأخوة الكرام ...

فهذا ما يتعلق آيها المسلمون بهذه الأيام العشر المباركة، وقد اختلف أهل العلم في أفضلية صيامها، ففي حديث لعائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم صائم عشر ذي الحجة قط»، ولما سُألت حفصة رضي الله عنها وهي زوج النبي صلى الله عليه وسلم سُألت عن صيامه العشر، فذكرت أنه كان يصومها، فذكر الإمام بن حجر توفيقاً لهذين الحديثين أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يصوم العشر كاملة، وإنما كان يصوم كثيراًمنها، فينبغي على المرء أن يحرص على أن يصوم من هذه العشر، لو صامها كاملة فلا بأس فهي أيام فاضلة، ولو صام أكثرها أو بعضها فلا بأس عليه، ويكثر آيها المسلمون من قراءة لقرآن؛ فلو قرأت ثلاث أجزاء فقط كل يوم، لختمت القرآن كاملاً في هذه العشر، وقراءة جزء كامل لا تستغرق أقل من نصف ساعة، فلو بكر الإنسان في الصلاة أو جلس في مصلاه بعد إنتهاءها ثم جلس يقرأ؛ لاستطاع أن يقرأ يومياً ثلاثة أجزاء وختم القرآن كله في هذه العشر.

الله الله آيها المسلمون في اغتنامها، فهي أيام معدودات، وقال الله تعالي فيها: {إِوَاذْكُرُوا اللَّـهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ} [البقرة:٢٠٣]، والقرآن أفضل الذكر؛ فينبغي الحرص عليه آيها المسلمون.

ومن المسائل التي يسأل عنها الناس في هذه الأيام من أحكام الأضحية ولن افسرها ولكن سأذكر مسألة قد يحتاجها الناس قبل وصول وقت الأضحية وهي مسألة إرسال الأضحية إلى خارج البلد الذي يأتيك فيه العيد وأنت فيه، فأنت مقيم مثلاً في المملكة ولكنك تريد إرسال الأضحية إلي بلد آخر لتذبح فيه وتوزع لشدة حاجة الناس هناك أكثر من شدة حاجتهم هنا، فإذا كنت تعلم أن بلد فيه ثقة يقوم على ذلك كأن ترسل مثلاً قيمتها إلى أخيك أو أبيك المقيم في الخارج أو إلى بعض معارفك، وتأمره أن يأخذ أضحية يشتريها ويوزعها على الفقراء فلا بأس في ذلك، سواء أن ذبحت الأضحية هنا أو ذبحتها فى الخارج فلا بأس عليك في هذا.

نسأل الله تعالى أن يتقبل منا ومنكم جميعاً ونسأل الله أن يبلغنا الأيام الفاضلة، وأن يعيننا فيها على التقرب إليه، اللهم إننا نسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير خزايا ولا مفتونين، اللهم اغفر لنا ولأباءنا وأمهاتنا، اللهم من كان منهم حياً فمتعه بالصحة على طاعتك واختم لنا وله بخير، ومن كان منهم ميتاً فوسع له في قبره وضاعف له حسناته، وتجاوز عن سيئاته، وادمعنا به في جنتك يارب العالمين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.